مخالفة الشعراء للأعراف والتقاليد الاجتماعية في شعر الغزل الجاهلي

" دراسة اجتماعية نفسية "

الدكتورة

نهلة عبدالرحمن أحمد سليمان

الأستاذ المساعد ـ بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والفنون ـ جامعة حائل ـ المملكة العربية السعودية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

مخالفة الشعراء للأعراف والتقاليد الاجتماعية في شعر الغزل الجاهلي "دراسة اجتماعية نفسية"

نهلة عبدالرحمن أحمد سليمان

قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب والفنون ـ جامعة حائل ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: Nahla.Abdelrahman@yahoo.com

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على بعض أشعار الجاهليين في الغزل، والتي مثّلت حضورًا بمعناها العام؛ حيث كانت تلك الأشعار تُفَسِّر في شروح الدواوين دون الغوص فيما خفي من هذا الحضور الشعري، والذي غاب أيضًا عن متطلبات النقد الحديث لمفهوم الشعر؛ فقد اكتفى النقاد في غالب دراساتهم بما وصلهم من شروح عامة ، كانت نتاج اجتهادات الأقدمين المفتقرة إلى آليات الخطاب النقدي الحديث؛ لذا تلاحظ غياب دراسة الحالات النفسية والاجتماعية لدى بعض الشخصيات الشعرية والذي يمكن الرجوع إليه في صياغة بعض الشروح القديمة، وتقديمها بصورة أكثر وضوحاً من ذي قبل. وتحاول هذه الدراسة تعديل مسار بعض النظريات القديمة التي تصنف الشعراء وتضعهم في إطار محدد، دون التعمق فيما وراء تلك المعطيات الشعرية الحاضرة، فقد ملّ القُرّاء من نظرية هذا أبلغ بيت، وهذه قلادة الدهر، وغيرها من المسميات النقدية القديمة التي أطلقها النقاد على بعض الأشعار؛ في محاولة لتصنيف قائليها ووضعهم في إطار نقدي محدد.

وقد تناولت الدراسة بعض صور الغزل الصريح في العصر الجاهلي، ومغامرات الشعراء المخالفة لأعراف المجتمع، مبينة بعض جوانب المبالغة فيها، مما يدعو للاعتقاد بأن معظمها كان من باب التخيل ، وتصوير الممنوعات في أشكال متاحة شعريًا ، وغير ممكنة وغير مقبولة لدى أفراد المجتمع ، وترفضها الأعراف والتقاليد السائدة في ذلك الوقت، وتعتمد الدراسة على مرجعيات نفسية لم تلق اهتمامًا كافيًا من النقاد في تناول شروح تلك الأشعار.

الكلمات المفتاحية : الأشعار ــ الشعراء الجاهليين ــ المبالغة ــ الاجتماعية ــ العرفية

Poets' violation of social norms and traditions in pre-Islamic Al-Ghazl poetry 'A socio-psychological study'

Nahla Abdel Rahman Ahmed Suleiman
Department of Arabic Language and Literature - College of Letters and Arts - University of Hail - Kingdom of Saudi Arabia
Email: Nahla.Abdelrahman@yahoo.com

Abstract

The study aims to shed light on some of the poetry of the ignorant people in the ghazal that were present in the general sense, as the poems were interpreted in the commentaries of the divans without delving into what was hidden from this poetic presence, which also missed the requirements of modern criticism of the concept of poetry. From general explanations that were the result of the jurisprudence of the ancients that lacked the mechanisms of modern critical discourse, which is based on the study of psychological and social cases in some poetic personalities, a reclining that can be referred to in the formulation of some ancient explanations And present it more clearly than before. The study also tries, among its objectives, to correct some of the ancient theories that classify poets and place them in a specific framework without delving into beyond these present poetic data, as people are tired of the theory of this most eloquent house, and this necklace of eternity, and other ancient critical names that critics have given to Some poems in an attempt to classify those who say it and place them in a specific critical framework.

The study has dealt with some of the explicit spinning images in the pre-Islamic era, and the adventures of poets contrary to the norms of society, showing some aspects of exaggeration, which leads to believe that most of them were a matter of imagining and depicting the forbidden in forms that are poetically available and not possible and acceptable to society, custom and people at that time. The study is based on psychological references that most critics overlook in dealing with the explanations of these poems.

Keywords : poems - ignorant poets - exaggeration - social - customary

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

تحاول هذه الدراسة أن تربط علم النفس من ناحية بتحليل الأدب من ناحية أخرى، من خلال الآثار الأدبية القديمة، وذلك من خلال الإفادة من معطيات مدرسة التحليل النفسي التي مثلها فرويد و تلاميذه؛ حيث أرجعوا الدوافع النفسية في الإبداع إلى اللاشعور – من خلال الصراع بين أقسامه – عن طريق الكبت والتعويض والتسامي...، واعتبروا الفنان أو المبدع شخصًا عصاميًا يريد أن يتسامى أحيانًا ، أو يعوّض عقدة النقص التي يشعر بها، وقد انطلق هؤلاء إلى اكتشاف العقد الأدبية من خلال التحليل النفسي. إلا أن الدراسات العربية قد تأخرت في ذلك الاتجاه النفسي، وقد مثّله عدة نقاد وأدباء ، ومن أبرزهم عباس محمود العقاد في العبقريات وتحليله لشخصيات بعض الشعراء، مثل ابن الرومي في كتابه (ابن الرومي حياته من شعره)، ويمثل المنهج النفسي كل من محمد النويهي و عزالدين إسماعيل و آخرون ممن أسهموا بدراساتهم التحليلية أو التفسيرية، سواء من خلال دراسة الشخصية أو العمل الأدبي أو الإبداعي، وإن كان للمنهج النفسي مزاياه فإن له عيوبه أيضًا شأنه شأن أي منهج آخر، فقد كان هذا المنهج وافدًا إلينا من الغرب و طوره العرب، غير أن للدرس السيكولوجي خصائصه العربية وسماته الكلاسيكية.

اقتضت الدراسة الولوج إلى المنهج النقدي التحليلي ، مستندة إلى عدة مرجعيات نفسية واجتماعية؛ لإثبات النتائج المقترحة، وقد قسمت الورقة إلى عدة فرضيات للمخالفات التي ارتكبها بعض الشعراء، مع إعطاء الدليل القائم على دحض تلك المخالفات وإثبات تلك الفرضيات التي طرحتها الدراسة، منها الاجتماعي ومنها النفسي الذي استند إلى بعض نظريات علم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

النفس التحليلي. وأرجو أن تكون هذه الدراسة فاتحة لإعادة صياغة بعض شروح الأشعار القديمة، وأن تغيّر مسار النقد القائم على التفضيل الذوقي للأشعار وقائليها ، دون الرجوع إلى المناهج الداعمة التي يمكن أن نصل من خلالها إلى دعم المناهج النقدية الحديثة ودورها في فهم الشعر ونقده بصورة أكثر عمقاً .

مدخل إلى غزل الجاهليين

للتاريخ أهمية كبيرة؛ لأنه يعرض لأهم الاتجاهات الفنية والمذاهب الأدبية، ويبرز أثرها في الذوق العام، ويكشف عن تطور الذوق من عصر إلى عصر، حتى صار مثار اهتمام النقاد ودارسي الأدب ومناط عنايتهم، كذلك يطلعنا على كثير من الخصائص الأسلوبية المتعلقة بالنصوص الأدبية المختلفة ومدى اهتمام الناس بجوانبها، وتفضيل النقاد لبعض الحوادث، وتقديمها على ما سواها، وكذلك للأدباء وما يتعلق بمذاهبهم الأدبية وأمزجتهم وحياتهم، لذلك فإن اختيار الشخصيات التاريخية وعرضها وفقًا للنظريات والمذاهب النقدية الحديثة هو ربط للماضي بالحاضر، وهو الرافد الذي نستقي منه حاضرنا، ونصوب من خلاله نظرياتنا. يقول مصطفى صادق الرافعي : (الوجه في إفراد شاعر أو كاتب من الماضين بالتأليف، أن تصنع كأنك تعيده إلى الدنيا في كتاب وكان إنساناً، وترجعه درساً وكان عمراً، وترده حكاية وكان عملاً، وتنقله بزمنه إلى زمنك، وتعرضه بقومه على قومك، حتى كأنه بعد أن خلقه الله خلقة إيجاد يخلقه العقل خلقة تفكير)[١] .

وقد رسم الجاهليون للمرأة المحبوبة في أدبهم صوراً حسية، يدور معظمها حول جمال الشكل بمقاييسهم، ونضج الأنوثة واكتمالها من حيث أمتلاء البدن، وسحر العينين، وكثيراً ما شبهوا المرأة بالريم والمها البيضاء وبالبقرة الوحشية، وقد أفرغ شعراء هذا العصر القديم كل عواطفهم

(١) سمك ، محمد صالح : أمير الشعر في العصر الحديث (امرؤ القيس) دار نهضة مصر ، الفجالة ١٩٣٢ ، المقدمة ، ص ٩ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ونظراتهم حيال المرأة فيما تعارفنا عليه بالغزل أو النسيب أو التشبيب، يفتتحون به قصائدهم فيصفون به مدى حبهم للمرأة وكلفهم بها، ويصورون فيه انطباعاتهم الغرامية بمفاتنها الحسية، ويقدمونه على سائر أغراضهم الشعرية مهما تكن تلك الأغراض بعيدة عن مسرح الحب ومتعة الغرام والعشق.

وبهذا فإن هذا النوع من الوصف كان أظهر ما يكون في الشعر الجاهلي لدى أصحاب المعلقات ومن سار على نهجهم من فحول الشعراء في ذلك العصر، وقد كانت دواعي الغزل متعددة في حياة الجاهليين؛ فارتحالهم من كلأ إلى كلأ حيث ترعى إبلهم، ومجيئهم من كل حدب وصوب، وتطوّفهم في الصحراء بحثًا عن الماء والكلأ، كل فريق منهم له وجهة هو موليها، تاركين وراءهم ذكريات عطرة، فيتألمون للذعة الفراق، ويبكون أيامهم الخوالي وذكرياتهم تلك؛ فيسجلون في أشعارهم المرأة التي فتنت ألبابهم، وسحرت عيونهم، وسهرت جفونهم وسلبتهم الكرى، وصوروا – بأدق وصف – محاسنها بكل ما فيها مركزين على مفاتن الجسد بصورة خاصة.

هي امرأة طويلة، فارعة سمهرية العود، حسنة القوام، مترفة، منعمة، ساحرة العينين، بهما كحل وحور، نقية الجسم، أسيلة الخدين، جيداء، عطبول، طويلة الشعر فاحمته، تستوي علي ساقين كالأنابيب الريانة ليونة ونعومة، وكالعاج أو الرخام بياضاً، مليئة الصدر، مصقولة صقل مرآة مجلوة، هضيمة الكشح، دقيقة الخصر، مليئة الذراعين، رخصة الانامل تبتسم عن ثغر جميل فاتن يفتر عن أسنان بيضاء كاللؤلؤ أو الأقحوان أو البرد. تلك صور حسية رسمها الجاهليون وجلوها عن طريق حواسهم، فإن استنفد الشاعر الجاهلي حواسه الخمس في وصف المرأة، فقد استغرف بذلك

كل ما في جعبته من مجالات الوصف لمحبوبته، ولا نكاد نجد شاعرًا منهم قد تعمق فيما وراء ذلك للحديث عن آلامها وآمالها ووجدانها، ولم يتبنوا مدى الارتباطات الروحية التي تربطهم بها.

ويبدو للباحثة أن النزعة الحسية في الشعر الجاهلي كانت طاغية على ما عداها، فهو في جملته شعر مادي حسي؛ إذ إنه يستمد من الحواس صوره وأخيلته ومعانيه، ويعكس لنا الصورة الفطرية التي كان العرب الجاهليون يعيشونها في أحضان الصحراء، ثم جاء الإسلام وشرع نظماً وحدوداً وضوابط في الشعر الخاص بالمرأة سداً لأبواب الفتنة، وإقامة لصرح الاستقامة والفضيلة، لكن التعبير الفني عن النظرة إلى المرأة لم يطرأ عليه تغيير، ولم يهتد الشعراء إلى إدراك جديد في تلك الفترة من صدر الإسلام، فقد جرى معظم شعراء العصر الجاهلي وراء المجانة والعبث في شعرهم إلى أبعد غاية.

ولعل الكثير من النقاد قد استسلموا إلى أن تلك الحياة هي حياتهم الطبيعية، وقد صوروها من خلال شعرهم أو كما قالوا: (والشعر معدن العرب، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسور المضروب حول مآثرها ...)[١] لكن كان يجب ان نقف وقفة تأمل لتلك القصص والأخبار؛ فلربما كانت مفتعلة أو على أقل تقدير كان أكثرها مفتعلًا، وذلك يرجع الى بعض العوامل النفسية والاجتماعية. ومما يؤكد هذا الفرض أو يرجحه أن الرجال كانوا يقدرون ويعزون زوجاتهم لا سيما الأمراء منهم والأصلاء أصحاب الحكم والأصل والنسب، ومن أبرز مظاهر إعزاز الرجال للزوجات حمايتهن

(١) ابن قتيبة ، الدينوري ، عبدالله بن مسلم : الشعر والشعراء ، طبغة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٥م ،ج١ ، ص ٧٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والحفاظ على طهارتهن، وكان اقتدار البعل على حماية زوجه يعد مكرمة يفخر بها الرجل، وهي مطلب ترغب فيه الزوجات، ويدفعن الرجال على القيام بأعبائهم، وقد أحسن عمرو بن كلثوم تصوير ذلك في معلقته حينما قال من (الوافر) :

عَلَى آثَارِنَا بِيْضٌ حِسَانٌ ∴ نُحَاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ أَوْ تَهُوْنَا
أَخَذْنَ عَلَى بُعُوْلَتِهِنّ عَهْداً ∴ إِذَا لاَقَوْا كَتَائِبَ مُعْلِمِيْنَا
لَيَسْتَلِبُنّ أَفْرَاساً وَبِيْضاً ∴ وَأَسْرَى فِي الحَدِيْدِ مُقَرّنِيْنَا

ولو قبلنا تلك التحليلات لعلماء ومفكرين ونقاد لهم جهود في ذلك المجال الذي يربط علم النفس بالأدب، ولو أردنا تطبيق ذلك على بعض غزل الجاهليين نجد أن الموضوع يكاد يقترب من حقيقة ما سردناه، فلو سلّمنا بأن الإسراف في الإباحيات ناتج عن الكبت فإن ذلك يتوافق مع ما ذهب إليه علماء النفس ؛ إذ يرون أن (نظرية الكبت هي حجر الزاوية التي تقوم عليه كل عمادة التحليل النفسي)[١] ؛ مما يعني أن نظرية الكبت هذه توضح عمق الدوافع الكامنة وراء ولادة النص الإبداعي وعلاقته بالمبدع ونفسيته.

وقد وُصِفَت مقدمات امرئ القيس الطللية بأنها (تعبر عن أزمته الخاصة أكثر مما هي كشف لاشعوري جمعي، وكذلك يجب الانتباه إلى تشديده على المسألة الجنسية تشديداً تكاد البدهتان الأخريان أن تختفيا معه، أو لنقل تعدوان أمرًا ثانوياً بالإضافة إلى المحبوبة التي تشكل محور الطللية لديه، فصورة الماء وحس القحل ومفهوم الهدم الحضاري لا تمثل إلا

(١) معجم مصطلحات التحليل النفسي : ترجمة مصطفى حجازي بالمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – لبنان ، ط١ ١٩٨٥م ، ص ٤١٨ .

حضورًا ليس بالكبير، في حين تمتلك الأزمة الحسية ثقلاً وامتلاء يكفيان للاعتقاد بأن امرأ القيس ذاتي النزعة ويتحدث بلسان الجماعة)[١] .

وتلاحظ أن مقدمات امرئ القيس الطللية بها حزن دفين ناتج عن أزمة جنسية، وهذا تصوره المرحلة الأولى من حياته بدقة؛ فقد ورد أن امرأ القيس (حين هرب من المنذر بن ماء السماء صار إلى جبلي طئ (أجا وسلمى) فأجاروه وتزوج بها أم جندب، وكان امرؤ القيس مفركًا مبغضًا، فبينما هو ذات ليلة نائم معها إذ قالت له: قم يا خير الفتيان فقد أصبحت، فلم يقم، فكررت عليه فقام فوجد الفجر لم يطلع بعد فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فسكتت عنه ساعة، فألح عليها، فقالت: حملني أنك ثقيل الصدرة، خفيف العجزة، سريع الإراقة، بطيئ الإفاقة، فعرف من نفسه تصديق قولها فسكت عنها)[٢]

فإن صحت الرواية ــ وحياته جميعها قائمة على روايات مختلفة ــ ليس على الباحث إلا أن يتخير منها ما يوجه مسيرة بحثه لبعض الحقائق التي يقصدها البحث وتهدف لها الدراسة، إن صحت فإن الأمير الشريف والشاعر المرهف الحس قدر له أن يواجه واقعًا مرًا يعز على مثله أن يتحمله فما حاجة النساء لشاعر فصيح، رقيق العبارة، جزل اللفظ، دقيق التصوير، إذا كان في الفراش ثقيل الصدرة، خفيف العجزة، سريع الإراقة بطيئ الإفاقة.

---

(١) يوسف اليوسف : مقالات في الشعر الجاهلي ، نشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٥ ، ص ١٧٥ .

(٢) الشعر والشعراء ج١ ص٢١٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وربما كانت قصة أم جندب فيما ورد بين امرئ القيس وعلقمة بن عبدة دليل آخر على عقدة امرئ القيس تلك، وهي القصة المكملة لسابقتها، فقد روى ابن قتيبة (أن امرأ القيس كان عند بني طئ فزوجوه منهم أم جندب، فجاءه يومًا علقمة بن عبدة التميمي، وهو في خيمته وخلفه أم جندب، فتذاكرا الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك، وقال علقمة بل أنا أشعر منك، فقال: قل وأقل، وتحاكما إلى أم جندب، فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها (من الطويل):

خَليليّ مُرّا بي عَلى أُمِّ جُندَبِ ∴ نُقَضِّ لُباناتِ الفُؤادِ المُعَذَّبِ

ثم قال علقمة:

ذَهَبتَ مِنَ الهِجرانِ في غَيرِ مَذهَبٍ ∴ وَلَم يَكُ حَقّاً كُلُّ هَذا التَجَنُّبُ

واستطرد كل منهما في وصف ناقته وفرسه، فلما فرغ علقمة فضلته أم جندب على امرئ القيس، فقال لها: بم فضلته علي؟ فقالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك، قال: ولماذا؟ قالت: إنك زجرت وحركت ساقيك وضربت بسوطك، وذلك في قوله:

لِلساقِ أُلهوبٌ وَلِلسَوطِ دُرَّةٌ ∴ وَلِلزَجرِ مِنهُ وَقعُ أَهوَجَ مُتعَبِ

وقال علقمة:

فأدركهنّ ثانيًا من عِنانه ∴ يمُرُّ كغيث رائحٍ مُتَحَلَّب

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه لم يضربه بسوطه ولم يتعبه، فقال: ما هو بأشعر مني ولكنك له عاشقة، فطلقها.)[1] فتلك القصة توحي بأن العلاقة بين امرئ القيس وزوجته لم تكن وطيدة؛ لأن السرعة التي تم بها التطليق

(١) الشعر والشعراء ج١ص ٢٢٠

ربما كان وراءها اضطراب واضح في العلاقة، فلم يكن امرؤ القيس يثق في زوجته التي كانت من قبل تصفه بتلك الأوصاف التي تدمي رجولته وأميريته، فصور له عقله أن حكم أم جندب لا يوحي بالنقد العام وإنما بشئ آخر تكنه أم جندب وهو البغض الذي في مقابله العشق للخصم، فلو كانت العلاقة كما هي بين أي زوجين طبيعيين ماكان لينصرف الذهن إلى تلك الشكوك وبهذه السرعة التي ذكرتها الرواية، خاصة وأن النقد لم يكن بالشئ الغريب على ذلك العصر، فلو أنه ضربها أو حتى قتلها لكانت ردة الفعل في المستوى الطبيعي لدى الناقد، وربما اتهم بالحمق أو حتى الكبر الذي يصاحب الأمراء، لكن أن يتجه بذهنه ذلك الاتجاه وهو عشق الخصم، فلا بد أن يقود الناقد إلى المقابل لهذا العشق الذي اتهم به زوجته وهو البغض له والذي يتجه مباشرة في إشارة واضحة تربط بين القصتين وتؤكد أو ترجح العقدة النفسية لدى امرئ القيس. وإن صدقت تلك الروايات فإن شعور الأمير بانحطاط النفس أمام المرأة التي يشتهيها ولا يجد لها سبيلاً قد وجه شعره لما ينقصه داخل نفسه، وصور نفسه بعكس ما هو عليه، فهو في شعره رجل فحل تشتهيه النساء ويرحبن بمقدمه في أي وقت،غير مباليات بالأهل ووجودهم في سامرهم وربما كان فيهن زوجات. يقول (من الطويل):[1]

سَمَوتُ إليها بعدَ ما نامَ أَهْلُها ∴ سُمُوَ حَبَابِ المَاءِ حَالاً على حَالِ
فقالتْ سَبَاكَ اللهُ إنَّك فَاضِحي ∴ ألستَ ترى السُّمَّارَ والنَّاس أَحْوَالِ
فقلتُ يمينَ اللهَ أبرحُ قَاعداً ∴ ولو قَطَّعُوا رَأْسِي لديكَ وأَوْصَالِي
حَلَفْتُ لها باللهِ حَلْفَةَ فَاجِرٍ ∴ لَنَامُوا فما إنْ مِن حَدِيثٍ ولا صَالِ

(١) ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، مصر ١٩٥٢ ص ٣١ ، ٣٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فلمَّا تَنَازَعْنَا الحديثَ وأَسْمَحَتْ ∴ هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذي شَمَارِيخَ مَيَّالِ
وَصِرْنا إلى الحُسْنَى وَرَقَّ كلامُنا ∴ ورُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أيَّ إِذْلالِ
فأصبحتُ مَعْشُوقًا وأصبحَ بعلُها* ∴ عليه القَتَامُ سَيِّءِ الظَّنِّ والبَالِ

من خلال هذه الأبيات صور امرؤ القيس نفسه عاشقا استبد به الشوق وهانت أمامه كل المخاطر التي تعترض سبيله إلى محبوبته، حتى سما إليها في خفة ورشاقة كقطرات الماء التي يعلو بعضها بعضًا في هدوء ويسر، ثم لما وصل إليها ووجدها مضطربة من أثر المفاجأة أخذ يقسم لها أنه لن يذهب حتى لو قتلوه ومثلوا به، فلا فائدة إذن من الاضطراب أمام عاشق عنيد ومُصِرٍّ على قضاء ما جاء لأجله، فاطمأنت له وانقادت بعد صعوبة وسهلت بعد تمنع، فانتزع هواها، وخلب فؤادها، فأحبته وكرهت زوجها الذي بات مغبرًا كاسف البال.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى حد الاعتقاد بأن المقدمة الطللية تقوم بعملية التطهير (حيث تساعد على تحمل المواقف العصيبة فتجدد طاقات نفسية وتبعد ظلمات وحشتها، وتلطف من ذهولها كلما تعكر صفوها، ومن هنا لم يأت بكاء الشاعر للبكاء، ولكنه أتى علة لشفاء نفسه الملتاعة، حيث تبلغ هذه النفس درجة التأزم، فتارة تتلمس التماسك والتجلد، وأخرى تلجأ إلى الدموع والنداء والاستفهام وكل ذلك قصد به التخفيف من المعاناة النفسية)[١] .

(١) محمد صادق حسن عبد الله ، مقدمة القصيدة الجاهلية ومعاناتها المتجددة، ب ت ، ب ط ، دار الفكر العربي ، ص ١٠٩ .

ولاشك أن مثل هذا الحكم يصلح عندما يكون الشاعر في موقف معاناة حقيقية وتجارب حية، وهكذا تلونت المقدمات الطللية بتلونات النفس الإنسانية في تعاملها مع ملابسات الحياة ثم أسقطت كلها على الأطلال، ومن هنا كانت رمزية الطلل تختزن هذه المعالم النفسية وتعمق تجربتها.

تلك الآراء عن المقدمة الطللية نتشاطر الرأي مع بعضها، لكنه لابد من الإشارة إلى أن التعامل مع الشعر قد يسمو بالجميع إلى درجة من التمثل أو التخيل تذهب بهم مذاهب بعيدة، لا لنقوّل الشاعر ما لم يقله أو لم يخطر بباله، ولكن لأن طبيعة الشعر قد تثير في نفس القارئ أو الدارس خواطر ورؤى قد لا تخطر للشاعر على بال، فتلك مسلمة لا نستطيع إنكارها ونحن نتعامل مع الشعر، ويبدو أننا حين نتعامل مع المقدمة الطللية من دون أن نوظّف ما نمتلكه من خلفية تاريخية أو مرجعية عن حياة الشاعر فإن الأعباء التي حملنا بها تلك المقدمات تبدو مجرد تخيل، فلا بد من خلفية معرفية كملابسات حياة الشاعر، فإن تناول النص بصفته عالماً مغلقاً يجعلنا نستعمل مفاتيح معرفية غير التي يستعملها المتأثر بمعلومات عن حياة صاحب النص، ومن ثم فإن المفاتيح التي يستعملها الدارس الآخر المفترض لدخول النص ليس بالضرورة أن تكون هي المفاتيح ذاتها، ومن هذا المنطلق فإن المقدمة الطللية تأويل بعيد لكل دارس سمح لدراسته أن تقتحم حياة الشاعر ومعرفة ما يكتنفها من ملابسات نفسية وعاطفية.

أدلة ملموسة على المبالغات الاجتماعية والعرفية في الغزل :

لقد ذكرنا سابقًا أن من أبرز مظاهر إعزاز الرجال للزوجات حمايتهن والحفاظ على طهارتهن، وأن اقتدار البعل على حماية زوجه مكرمة يفخر بها الرجل هو مطلب ترغب فيه الزوجات، وتدفعن الرجال على القيام

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بأعبائهم. وقد أحسن عمرو بن كلثوم تصوير ذلك في معلقته ، حيث يقول من (الوافر):[١]

عَلَى آثَارِنا بِيضٌ حِسَانٌ ∴ نُحَاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ أَوْ تَهُونَا
أَخَذْنَ عَلَى بُعُولَتِهِنَّ عهداً ∴ إِذَا لَاقَوا كَتَائِبَ مُعْلِمِينَا
لَيَسْتَلِبُنَّ أَفْرَاسًا وَبِيضًا ∴ وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَا
تَرَانَا بارِزِينَ وَكُلُّ حَيٍّ ∴ قَدِ اتَّخَذُوا مَخافَتَنا قَرِينا
إِذَا مَا رُحْنَ يَمْشِينَ الْهُوَيْنَى ∴ كَمَا اضْطَرَبَتْ مُتُونُ الشَّارِبِينَا
يَقُتْنَ جِيادَنَا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ ∴ بعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا
ظَعَائِنُ مِنْ بَنِي جُشَمِ بنِ بَكْرٍ ∴ خَلَطْنَ بِمِيسَمٍ حَسَبًا وَدِينًا
وَمَا مَنَعَ الظَّعَائِنَ مِثْلَ ضَرْبٍ ∴ تَرَى مِنْهُ السَّواعِدَ كالقُلِينَا

لقد اظهر عمرو في الأبيات السابقة تعلق الرجال والنساء بالحماية شرطاً لاستمرار العلاقة الزوجية، وأن يحمي الرجال زوجاتهم والرجال يرضون بذلك، ويسترخصون أرواحهم في سبيل حماية الزوجات، ولا يرون إلا شراً إن عجزوا عن ذلك .

والزوجة الحرة حرم لا يلجه إلا بعلها، وكان البعل يحرص على زوجه البكر ليلة يبني بها، ولا يرضيه أن تكون ثيباً، فقد ذكر صاحب الأغاني أن دريد بن الصمة تزوج إمرأة بكراً، فوجدها ثيباً، فأخذ سيفه، فأمثل به إليه ليضربها فتلقته أمها لترفعه عنها، فجز يدها ثم نظر إليها بعد ذلك وهي معصوبة فقال[٢] :-

(١) ديوان عمرو بن كلثوم ، جمعه وشرحه وحققه إيميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ،ط٢ ١٤١٦هـ _ ١٩٩٦ ص ٩٨ – ٩٩ .

(٢) الأصفهاني ، أبوالفرج :طبعة كتاب التحرير ، ط٩ ، ب . ت ، ج ١، ص ٢٣ . (واقية كواقية التلاب) مثل يضرب للجيش اذا كان

أقرَّ العين أن عُصبت يداها ∴ وما إن تعصبان على خضاب

وابقاهنَّ أنّ لهـــــنّ جِداً ∴ وواقيـــــةً كواقية الكلاب

وكان ميل الزوجة إلى غير بعلها لا يمر بغير عقاب، فقد أسر زيـــاد بن الهبولة هند بنت ظالم زوجة حجر بن عمرو، آكل المـــرار فمالـــت إلـــى آسرها، فربطها بين فرسين، ثم ركض بها، حتى قطعها قطعاً، وقـــال آكـــل المرار في ذلك مظهراً انعدام ثقته بالنســـاء بعـــد غـــدر هنـــد فقـــال مـــن الخفيف[١]:-

إنّ مَن غَرّه النساءُ بشـــيءٍ ∴ بَعـــدَ هندٍ لجاهِلٌ مغرورُ

حُلوةُ العينِ واللسانِ، ومُـرٌّ ∴ كلُّ شيءٍ يُجِنُّ منها الضَّمِيرُ

كلُّ أُنثى وإن بَدَت لك منها ∴ آية الحـبِّ، حُبُّها خَيتَعُورُ

وآكل المرار هذا هو والد امرئ القيس فكيف يصح أن يشبب امرؤ القيس بزوجات غيره؟ فالأرجح في ذلك أنها قصص يختلقها امـــرؤ القـــيس وليست حقيقة، فالمجتمع رافض لتلك العادات وخاصة عند الزوجات فقوله:-

فأصبحت معشوقاً وأصبح بعلُها ∴ عليه القتام سيئ الظن والبال

فإن صح خبر مثل هذا لكان امرؤ القيس مقتولاً قبل أن يغضب والده ويطرده أو حتى قبل أن يسعى للأخذ بثأر والده .

فالرجل في الجاهلية كان يخاف من ابن الزنا كما يخاف منه الإسلام، فهذا أمر شنيع لا يقره المجتمع، ومن ذلك استنكار عمرو بن العاص محاولة ابن عمه ان يغوي امرأته، لأن ذلك قد يثمر ولادة منكرة يدعي فيها ابن العم ابناً. وهذا أمر شنيع، ولا يقره المجتمع وقد أنشد عمرو قائلاً[٢] :-

(١) الأغاني ، ج ١٦، ص ٣٨٠ – ٣٨٥ .
(٢) الاغاني ،ج٩ ، ص ٧٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ليعلم عمّارٌ أنّ من شرّ شيمــــةٍ ∴ لمثلك أن يدعى ابن عمٍّ له ابن ما
إن كنت ذا بردين أحوى مرجلاً ∴ ولسـت تراعي لابن عمّك محرّماً
إذا المرء لم يترك طعاماً يحبّه ∴ ولم ينــه قلباً عارياً حيث يمّما
قضى وطراً منه وغادر ســـبةً ∴ إذا ذكـــــرت أمثالها تملأ الفما

فكيف صدر امرؤ القيس تلك العادات المحرمة بكل تلك الإباحيـــة، إن لم يكن فيها نوع من الخيال يعلمه الناس.

وإذا نظرنا إلى أشعاره التي قالها في المرأة بمنظار الشاعر لا ابـــن القبيلة والأمير الذي تحكمه عادات وتقاليد، فإننا نراه يمنع زوجته عن مـــا هو مقبل عليه، إذن فقد حلل لنفسه ما حرّمه على زوجه وكان يفخر بـــذلك حين قال[١] (من الطويل) :-

ألا زَعَمَتْ بَسْبَاسةُ اليومَ أَنَّنِـــــي ∴ كَبِرْتُ وأنْ لا يُحْسنُ اللَّهوَ أَمْثالِي
كَذَبْتِ لقدْ أُصْبِي على المَرْءِ عِرْسَهُ ∴ وأمنعُ عِرْسِي أَنْ يُزَنَّ بها الخالي

أما قصته مع ابنة عمه في الغدير والتي اتجه فيها الـــى المجـــرى السردي اتجاها واضحاً واستوفى جل أبعاده في المقطع الغزلي فيرى بعض الباحثين أن الباعث على نظم المعلقة هو (يوم دارة جلجل) حيثما النفي باتية عمة شر جيل وعنيزة أو فاطمة ، وهما شخصاً واحد وكان هائماً بها فكانت القصيدة وليدة حب لهذه المحبوبة أو معظم القصيدة والتي قال فيها (مـــن الطويل) :[٢]

ويَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَي مَطِيَّتِي ∴ فَيَا عَجَباً مِنْ كُوْرِهَا المُتَحَمَّلِ

(١) الديوان ، ص ٢٨
(٢) الديوان ص٨

فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِيْنَ بِلَحْمِهَا ∴ وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ
ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ ∴ فَقَالَتْ لَكَ الوَيْلاَتُ إنَّكَ مُرْجِلِي
تَقُولُ وقَدْ مَالَ الغَبِيْطُ بِنَا مَعا ∴ عَقَرْتَ بَعِيْرِي يَا امْرأَ القَيْسِ فَانْزِلِ
فَقُلْتُ لَهَا سِيْرِي وأَرْخِي زِمَامَهُ ∴ ولاَ تُبْعِدِيْنِي مِنْ جَنَاكِ المُعَلَّلِ

فإن صحت الرواية والمحبوبة ابنة عمه، وعلى ضوء ما قدمنا من أعراف سائدة في المجتمع الجاهلي آنذاك فعلى الباحث أن يقف متأملاً ، سائلاً نفسه عدة اسئلة :-

١) كيف يصنع ما صنع بفتيات بواكر دون أن تثار حفيظة أهله ؟

٢) كيف تخرج نساء العرب دون حراسة وهن ذاهبات الى غدير ليستحممن كما تقول المعلقة ؟

٣) وكيف ترضى الفتيات بهذا الامتحان الماض الا اذا كن بغايا ؟

٤) وكيف يرضى امرؤ القيس أن يمتهن نساء قومه وهو أمير وابن ملك ؟

٥) وكيف يستسيغ أن يدنس شرف ابنة عمه "عنيزة" وحبيبة قلبه كما ذكر مؤرخو الأدب ؟

تلك الأسئلة تدور في ذهن أي دارس فيصل إلى نتائج مرجحة وهي أن الدافع لنظم القصيدة ليس ذلك اليوم الذي يصفة بشعره " دار جلجل " فلم يكن دار جلجل إلا إحدى الذكريات التي تواردت على ذهن الشاعر وهو يقف على الأطلال، تلك الأطلال التي ذهبت بالماضي ولم تبق للشاعر غير الذكريات، فإن طبيعتها وصدق دلالتها على البيئة التي قيلت فيها، وعلى نفسية صاحبها، وطبيعة التجارب التي عبر عنها، والأحداث التي أدت دورها في حياة الشاعر، تجعل منها مرآة تنعكس على سطحها صورة تلك

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الأحداث، كل ذلك يجعلنا نقف من المعلقة موقفا جديداً يستدعي تحليلها وفق منطق جديد، بل وننظر إلى شعر امرئ القيس جميعه الذي قيل في النساء ومغامراته معهن، نظرة بعيدة عن السطحية تجعلنا نتغلغل في النص فيأخذنا إلى بعد أكثر غوراً ولصوقاً بالنفس البشرية التي هي نفس الشاعر.

أما المرأة فإنها كانت تشغل بالهم أكثر من كونها مجرد حبيبة او زوجة أو عشيقة، وهذا مما يرجح الفرض السابق بأن شيئاً ما في نفوسهم جعلهم يتجهون هذا الاتجاه وبصورته المفرطة التي سوف نورد جزءًا منها.

فقد روى بعض الرواة مغامرات لعدد من الشعراء تحولت إلى قصص غرامية على نحو ما قصوا عن حب المنخل اليشكري (للمتجردة) زوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة الذي كان قبيح الهيئة ، وكانت زوجته من أجمل نساء زمانها، وكان النعمان يغار عليها بجنون، وفي ذات يوم شاهدها الشاعر النابغة، عندما صادفها فجأة في قصر النعمان (الخورنق) وبرغم أنها انحنت لتلتقط إزارها الذي سقط على الأرض لتداري حسنها، إلا أن النابغة الذي بهت من جمالها، لم يستطع أن يكبح جماح نفسه، وأنشد قصيدته الشهيرة التي يقول فيها من (مجزوء الكامل) :

سَقَطَ النّصيفُ، ولم تُرِدْ إسقاطَهُ، ∴ فتناولتهُ، واتقتنا باليدِ
بمُخَضَّبٍ رَخْصٍ، كأنّ بنانَهُ ∴ عنم على أغصانه لم يعقدِ

وقبل أن يفيق من سكرة الشعر كان سيف النعمان يطلب رأسه، فظل هاربًا لعشرات السنين، وكتب اعتذارياته الشهيرة للنعمان، وكان شاعرنا المنخل اليشكري من أجمل فتيان العرب وأرقهم شعرًا، إلى أن قادته أقدامه التعيسة الى قصر النعمان، وأصبح أحد ندمائه، وبطريقة أو أخرى شاهد المتجردة فوقع في هواها، وأصبح لا يغادر الخورنق إلا من أجل أن يعود

إليه، وتناثرت الروايات عن علاقة بين المنخل والمتجردة، وكان ضيوف الحيرة يتهامسون في حضرة النعمان بأن أولاد المتجردة من النعمان يشبهون المنخل، ووصلت الهمسات إلى النعمان فقبض على المنخل وأمر باحراق جثته، وأن يذرى رمادها في الرياح حتى لا يتعرف أحد على مكان قبر المنخل، وأصدر أمرًا بأن يلقى الجزاء ذاته كل من يذكر اسمه ولو بالمصادفة أو ينشد قصائده.

والمحزن أن خطة النعمان نجحت في القضاء على كل أثر للشاعر والإنسان الذي لا نجد عنه شيئًا في ذاكرة التاريخ باستثناء هذه القصيدة التي نجحت في التصدي لسيوف النعمان وحفظها الرواة عن ظهر قلب من شدة جمالها وعذوبتها، والقصيدة مكونة من ثلاث مراحل، كل منها أجمل من الأخرى، وتدل على خفة ظل الشاعر الذي راح ضحية للاشتباه في غرامه بزوجة النعمان، ويبدأ الجزء الأول الذي اختزلناه لظروف المساحة بافتخار الشاعر بقومه على عادة العرب فيذكر أنهم تعودوا على الفروسية والحرب ولا يهمهم المال، ويهتمون بالكرم والشجاعة، وفي النصف الثاني يصف الشاعر غرامياته مع فتاة الخدر التي وقعت في غرامه ويختتمها بالبيت الشهير : (واحبها... إلخ) الذي يعد من ألطف الغزل في الشعر العربي، ثم يختتم القصيدة بمفاجأة غير متوقعة عندما نكتشف أن كل ما كان يرويه مجرد تهيؤات بعد أن لعبت الخمر برأسه، وعندما أفاق عاد الى حقيقته البسيطة ليتحسر على أحواله الفقيرة ومحبوبته الغائبة، وله قصة غرامية غاية في الجودة رواها الأصمعي :[١]

(١) ضيف ، شوقي : سلسلة تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر، ط٥ ، ١٩٦٠ ص ٢١٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولقد دخلت على الفتـاة ∴ الخـدر فى اليـوم المطير
الكـاعب الحســناء تر ∴ فـل فى الدمقس والحرير
فدفعتهـا.. فتـــدافعت ∴ مشى القطاة إلى الغديـر
ولثمتهـا فتنفـــــست ∴ كتنفس الظبـى الغريـر
فدنت.. وقـالت: يا منخَّل ∴ مـــا بجسـمك من حرور؟
ما شف جسمى غير جسمك، فاهدئى عنى وسيرى
وأحبهـا.. وتحبنـى ويحب ناقتـهـا بعيرى

فتاةُ الخِدرْ" وهي من بحر مجزوء الكامل، يُشار للقصيدة أيضًا باسم "فتاة القصر" أو "فتاة في القصر". الخِدرْ هو مكان الستر، لذلك كان العرب يطلقون على مجلس المرأة الخدر، وخدرت الفتاة أي استترت. حسب الحكايات القديمة وما ورد عن الأصفهاني، فقد قال المُنَخّل القصيدة في الملكة ملويّة ابنة زهير بن جذيمة بن رواحة العَبْسي وهي زوجة الملك النعمان بن المنذر المُلقبة بـ"المتجردة" بعد أن أقام علاقة غرامية معها واكتشف النعمان العلاقة في النهاية؛ مما أدى إلى اختفائه ووفاته. استطاع المُنَخّل بهذه القصيدة أن يعيش في ذاكرة الشعر العربي حيث تعتبر القصيدة مختلفة عن باقي القصائد التي كانت في ذلك الوقت، وقد ذُكِرَت القصيدة في عدة قصائد أخرى وقلدها الكثير من الشعراء.

رغم بساطة القصيدة وقصرها وسهولتها الشديدة إلا أنها تركت آثاراً عميقة في قصائد العديد ممن حاولوا استلهام الروح الحية لدى المُنَخّل اليشكري وقدرة المُنَخّل الفريدة على التصوير بأبسط الألوان والظلال .

وبها أيضًا من المبالغات التي لايرضاها المجتمع الجاهلي وخاصة أصلاء القبائل وشيوخها، وإن صحت تلك الروايات فإنها تقع ضمن القصص

الحقيقي الذي لايرضاه ذلك المجتمع الذي اتهم بالفجر والمجون دون الخوض في تفاصيل تلك القصص وموقف أهليها منها بقدر ماركزوا على أنها تعكس روح ذلك المجتمع وتحكي تفاصيله المعتادة والقصة دلالة واضحة على رفض المجتمع لتلك المبالغات المخالفة لقيمه وتقاليده.

أما الأعشى الكبير فهو شاعر جاهلي من أصحاب المطولات واستأثر (بلقب الأعشى الكبيرلأنه كان المقدم بين (الأعشيين) من الشعراء في الجاهلية وصدر الاسلام، وكانوا عديدين لكن شاعرنا كان أطولهم باعًا، وأشعرهم قريحة، وأغزرهم إنتاجًا، وأظهرهم شهرة بين العرب والعالم يوم ذاك، وقد ميز الناس بين من حملوا لقب الأعشي بقبائلهم) [١] ، فهو يمضي أيضًا إثر أصحابه من منتهجي الغزل المخالف للأعراف فيصف محبوبته وصفًا حسيًا مفرطًا ويصف مغامراته معها حتى يصل إلى مواقع الفتنة والجمال الحسي يقول (من البسيط) :[٢]

عْمَ الضَّجِيعُ غَدَاةَ البَيْنِ يَصْرَعُها ∴ لِلذَّةِ المَرْءِ لا جَافٍ وَلا تَفِلُ
هِرْكَوْلَةٌ فُنُقٌ دُرْمٌ مَرَافِقُهَا ∴ كأنَّ أَخْمَصَها بالشَّوكِ مُنْتَعِلُ
إذا تَقُومُ يَضُوعُ المِسْكُ أصْوِرَةً ∴ والزَّنْبَقُ الوَرْدُ مِن أَرْدَانِها شَمِل
ما رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ∴ خَضرَاءُ جادَ عَلَيها مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضَاحِكُ الشَّمسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ ∴ مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ
يَوْمًا بِأطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ ∴ ولا بأحسنَ منها إذْ دَنَا الأُصُلُ

(١) تاريخ الأدب العربي قبل الأسلام،ص٣٣٥.
(٢) ديوان الأعشى الكبير (ب . ط) ، أحمد حسين ، مكتبة الأدب ، المطبعة النموذجية ، الحلمية ، (ب .ت) ص،٥٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويفيض خياله في إنشاء لوحة رائعة لمشاهد يتبادل فيها مع معشوقته الصبابة والغرام ((فصرعها في غداة يوم غائم مطير، واشبع نهمه وأرضى لذته بجسمها الريان وشبابها الناعم، ومرفقيها الصغيرين، وقد اختفت عظامهما في ساعديها الممتلئين الصغيرتين وقد جفا بطناهما عن الأرض لايكاد أن يلمسانها، كأنهما مبطنتان بالشوك))[١] فيما يفيض غزله بالشهوة العارمة واللذة الجنسية، وقد عمد إلى نفس الصورة الغزلية القصصية المبثوثة في معلقة امرئ القيس فقال (من الكامل) :[٢]

فَظَلْتُ أَرْعَاها وَظَلَّ يَحُوطُها* ∴ حتى دنوتُ إذا الظَّلامُ دَنَا لَهَا
فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ* ∴ فَأَصَبْتُ حَبّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا
حَفِظَ النَّهارَ وباتَ عنها غافلاً* ∴ فَخَلَتْ لِصَاحِبِ لَذَّةٍ وخلا لَهَا
وَسَبِيْئَةٍ مِمَّا تُعَتِّقُ بَابِلٌ* ∴ كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا
وَغَرِيبَةٍ تَأتي المُلُوكَ حَكِيمَةٍ* ∴ قَدْ قُلْتُهَا لِيُقَالَ مَنْ ذا قَالَهَا
وَجَزُورِ أيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا* ∴ وَنِيَاطِ مُقْفِرَةٍ أخَافُ ضَلالَهَا
يَهْمَاءَ مُوحِشَةٍ رَفَعْتُ لِعَرْضِهَا* ∴ طَرْفِي لأَقْدَرَ بينَها أَمْيَالَها

في هذه الأبيات يلوم الأعشى صاحبته (سمية) على صدودها عنه (ويبالغ في حياطها، فهو لشدة حذره لايكاد ينام، لم يزل يتأتى لها حتى أقبل الليل فأصاب منه غفلة عن شاته فخلا بها للذته)[٣]. وفي فاتحة معلقته تكاد روحه تسقط من بين جنبيه جزعًا وصبابة وخاصة حين الوداع :[٤]

(١) ديوان الأعشى الكبير ص ٥٦
(٢) المصدر السابق نفسه ،ص٢٧
(٣) المصدر السابق نفسه ، ص ٢٦
(٤) نفسه ص ٥٥

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنّ الرَّكْبَ مرْتَحِـلُ ∴ وَهَلْ تُطِيقُ وَداعاً أَيُّهَا الرَّجُـــــلُ؟
غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا ∴ تَمشِي الهُوَينَا كَمَا يَمشِي الوَجِي الوَحِلُ
كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَـــا ∴ مَرُّ السَّحَابَةِ، لاَ رَيْثٌ وَلاَ عَجَـــــلُ

لعل الناظر لأشعار الأعشى يلمح بدقة سهولة ألفاظه، ورقة معانيه، ولين نفسه، والتي خضعت للحب ولانت بما لم يتأت لشاعر من معاصريه وسابقيه من أمثال طرفة وامرئ القيس .

أمّا المرقش فهو يعد الأكبر من أبطال قصص الحب الغرامي التي يخلط فيها الخيال بالحقيقة، ويصور الحب النبيل الصادق والهادىء، والغزل الوديع الهادئ، والقصة في شعره أكثر حركة ودرامية وأطول حادثة، ويخلو شعره من المشاهد الآثمة والغزل الجنسي الصريح، والمرأة عنده كالفراشة يتمتع بجمالها ويحوم حولها. وغالبا ماتلوح في قصصه صور من الألم وتنتهي بنهايات حزينة تؤكد نقاء الحب والإخلاص فيه. ((وهكذا وجدنا جماعة من الشعراء لفظوا آخر أنفاسهم على ماذهبت إليه الروايات، على مذبح الحب الصادق، ورضوا بالموت واختاروه على الحياة في كنف الحرمان والهجران وهؤلاء هم شهداء الحب)) (١)

وشاعرنا من الشعراء المتيمين، وهو من شهداء الحب، والذي أحب ابنة عمه (أسماء) ((ولكن والدها زوّجها من أحد الموسرين ليستعين بزواجها على معالجة ضائقة مالية حلت به)) (٢)

(١) الهاشمي، د.علي: المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة دار المعارف بغداد ١٩٦٠م ص ١٢٢
(٢) المرأة في الشعر الجاهلي ،ص ١٢٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويمضي الشاعر في تصوير حبيبته (أسماء) كيف تركته بالشام وذهبت إلى اليمن مجاورة أهلها من حمير ومراد، ويحيي في مستهل قصيدته عشيقته، ويطلب منها أن تحفظ ذكراه، وتفي بوعده، ولاتبخل عليه بحبها: فقال من (الخفيف)[١]

قُلْ لأَسماءَ أَنْجِزي الميعادَا ∴ وانْظُرِي أَنْ تُزوِّدِي منكِ زَادَا
أَينَما كنتِ أَو حَلَلتِ بأَرضٍ ∴ أَو بلادٍ أُحْيَيْتِ تلكَ البلادَا
إن تَكُوني تَرَكْتِ رَبْعُكِ بالشَّأ ∴ م وجاوَزْتِ حِمْيَراً ومُرَادَا
فارْتَجِي أَن أَكونَ منكِ قريباً ∴ فاسْأَلِي الصَّادِرِين والوُرَّاذا
وإِذَا ما رَأَيْتِ رَكْباً مُخِبِّي ∴ نَ يَقُودونَ مُقْرَباتٍ جِيادَا
فَهُمُ صُحْبَتِي على أَرْحُلِ المَيْـ ∴ ـسِ يُزَجُّونَ أَيْنُقاً أَفْرَادَا
وإِذَا ما سَمعتِ من نحوِ أَرضٍ ∴ بِمُحِبٍّ قد ماتَ أَو قِيلَ كَادَا
فاعْلَمِي غيرَ عِلْمِ شَكٍّ بأَنِّي ∴ ذاكِ، وابْكِي لِمُصْفَدٍ أَنْ يُفادَى

بيد أن حبها قد تملكه واستولى عليه ولم ينجُ منه ولم يستطع الإفلات من أسره حتى مات حزينًا شهيداً للحب والغرام.

وتعد قصة حب المرقش الاكبر أنموذجاً من قصص العشاق العربية والتي شكلت معالم الحب النقي. وهذه القصيدة تعد من أجمل الغزل الجاهلي، والذي يعبر عن نمط المشاكل التي كان يواجهها المجتمع والقبيلة، وفاضت نصوصها بالصور الأدبية الرائعة العامرة بالوصف الفني.

(١) القيسي، د.نوري حمودي ، د.عادل جاسم البياتي ،د. مصطفى عبد اللطيف: تاريخ الأدب العربي قبل الأسلام ، مطبعة الموصل ، التعليم العالي ١٩٨٩م ، ص ٣٨٠

الخاتمة

بعد الحمد لله والثناء عليه، فإن هذه الدراسة قد توصلت إلى عدة نتائج أبرزها :

- أن الشروح الشعرية في أغلبها نظرت إلى الشعر بصورة سطحية ليس بها عمق مادي ومعنوي.
- النظرة الحسية إلى المرأة والتي غلبت عليها المادية في الأشعار المتناولة ماهي إلا انعكاس لنفسية الشاعر ، وليس شرطًا أن تكون حقيقية وحدثًا حاصلاً بالفعل.
- الشاعر الجاهلي جزء من مجتمعه وأعرافه وجزء من نسيجه الاجتماعي الذي لايمكن أن يتجاوزه بعادات وتقاليد خارجة دون أن يحاسب أو أن يطاله عقاب.
- للشعر الجاهلي قوانينه التي تحكمه فليس كل ماقيل يمثل مرآة صادقة لما عاشه هؤلاء الشعراء من مغامرات وقصص ترى الدراسة أن معظمها مختلق وغير واقعي .
- تخللت بعض القصائد الغزلية قصصا وروايات نسجها الشعراء بما يسمى بالسردية الشعرية بدأه امرؤ القيس وأرسى أصوله حتى غدا نسقًا تعاوره الشعراء من بعده ،فنماه الأعشى، ولونه وطوعه سحيم عبد بني الحسحاس، ثم كان العصر الأموي فتعلق به عمر بن ابي ربيعة وأضرابه.
- يتخيل الشاعر الجاهلي المرأة في وضع من الأوضاع يستهويه ويتمناه، وبعض نماذج هذه المغامرات تصدر عن شبق ثائر، وتصور عرامة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تتأجج في عروق الشاعر، يعبر بها عن نزعاته وشهواته، والمرأة عنده لاتتعدى أداة للجنس المخالف للأعراف المجتمعية في تلك الفترة، وهذه من المبالغات.

- هذا النمط الإباحي ابتدره امرؤ القيس وسار على غراره بعض الشعراء أمثال النابغة والأعشى، ورغم ذلك كله فقد ظهرت نماذج من قصص العشاق العربية الصادقة من المتيمين الحقيقيين من الشعراء، وكانت هي المرة الأولى في الشعر الجاهلي، وأطلق على هؤلاء النخبة (المتيمون) الذين اتسموا بالحب وحرارة العاطفة وصدق المقصد والثبات على المقاصد والمبادئ، واحترام القوانين العرفية برغم ماعانوه من لوعة الصبابة، ومنهم المرقش الأكبر.

- (إن أهم ما تميز به هذا اللون من الشعر الغزلي في الجاهلية أنه أكثر إغراقًا بالفنية الغزلية ويستمد بواعثه من الميل في استخدام الخيال الفني في خلق صورة المرأة المثلى التي يحلم بها الشاعر، ويحشد في لوحاته القصصية أجمل ما ينعت به عاشق معشوقته من نعوت، وجل غزله مكشوف وصريح، يتخلله قصص غرام ماجنة وإباحية، وغالبا تتدفق فيها لمحات تشبيب ونسيب غاية في الإبداع والجودة تدوي فيها رياح الجنس والعرامة، ونراهم يقفون عند المرأة، ويصفون جسدها بالكامل، ولا يكادون يتركون شيئاً فيها دون وصف)[١]

(١) مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة الأنبار ، كلية التربية ، العدد ٥٧ ، ٢٠٠٩ ، ص٣٠٦

ـ المجتمع الجاهلي لما عليه من عادات دحضها الشرع بعد الإسلام فإن له أعرافه المجتمعية وعاداته التي يعد الخروج عنها جريمة لا تغتفر كما أسلفنا سابقًا .

لذا فإن الدراسة توصي بمراجعة الأشعار غير المنطقية المليئة بالمبالغات، خاصة الإباحيات غير المقبولة في أشعار العرب الجاهليين وغيرهم، بصورة أكثر دقة ومنطقية، وبرؤية ثاقبة وعين واعية وفق نظريات التحليل النقدي الحديث الذي يخضع الشعر للمذاهب النقدية الحديثة الأمر الذي يجعله أكثر مرونة، وأدق فهما، بعيدًا عن السطحية التي ضيعت الكثير من الحقائق، وهذا من شأنه أن يعكس حياة من سبقونا بصورة أكثر شفافية وصدقا .

وختاما فإن وفقنا فمن عند الله وإن أخفقنا فمن عند أنفسنا.

والله ولي التوفيق

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصادر والمراجع :

١. الأصفهاني ، أبوالفرج :طبعة كتاب التحرير ، ط٩ ، ب . ت ، ج ١.
٢. الدينوري ، ابن قتيبة ، عبدالله بنمسلم : الشعر والشعراء ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٥م ،ج١ .
٣. ديوان الأعشى الكبير (ب . ط) ، أحمد حسين ، مكتبة الأدب ، المطبعة النموذجية ، الحلمية ، (ب .ت) .
٤. ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ١٩٥٢ ص ٣١ ، ٣٢
٥. ديوان عمرو بن كلثوم ، جمعه وشرحه وحققه إيميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ،ط٢ ١٤١٦هـ _ ١٩٩٦ .
٦. سمك ، محمد صالح : أمير الشعر في العصر القديم (امرؤ القيس) دار نهضة مصر ، الفجالة ١٩٣٢ .
٧. ضيف ، شوقي : سلسلة تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، ط٥ ، ١٩٦٠.
٨. القيسي، د.نوري حمودي ، د.عادل جاسم البياتي ،د. مصطفى عبد اللطيف: تاريخ الأدب العربي قبل الأسلام ، مطبعة الموصل ، التعليم العالي ١٩٨٩م
٩. محمد صادق حسن عبد الله ، مقدمة القصيدة الجاهلية ومعاناتها المتجددة، ب ت ، ب ط ، دار الفكر العربي .
١٠. الهاشمي ، د. علي : المرأة في الشعر الجاهلي ، مطبعة دار المعارف بغداد ١٩٦٠م

الدوريات :

مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة الأنبار ، كلية التربية ، العدد ٥٧ ، ٢٠٠٩

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٦٧١
٢-	Abstract	٢٦٧٢
٣-	توطئة	٢٦٧٣
٤-	مدخل إلى غزل الجاهليين	٢٦٧٥
٥-	أدلة ملموسة على المبالغات الاجتماعية والعرفية في الغزل :	٢٦٨٣
٦-	الخاتمة	٢٦٩٥
٧-	المصادر والمراجع	٢٦٩٨
٨-	فهرس الموضوعات	٢٦٩٩